مبدأ وحدة التعليم والتربية

يعتبر مبدأ وحدة التعليم والتربية أهم المبادئ التدريسية على الإطلاق، فيتحدد بالاستناد إليه مضمون الدرس واتجاهه الأيديولوجي ويتحدد على أساسه المضمون التربوي للمبادئ التدريسية الأخرى.

وللتربية مفهومان ، مفهوم شامل وآخر ضيق ، وقد تعرفتم عليهما من خلال دراستكم لفلسفة التربية ولأصول التربية .

ولأغراض توضيح مضمون مبدأ وحدة التعليم والتربية ، فإننا ننظر إلى التربية بمفهومها الشامل على إنها التطوير المتكامل لشخصية الفرد تطوير معارفه وقدراته ومهاراته ، وكذ تطوير قناعاته ومواقفه وسلوكه وقيمه وأخلاقه ، وخصائص الطباع و غيرها من خصائص الشخصية المتطورة من جميع الجوانب.

ولذلك يعبر هذا المبدأ عن هذه النظرة الشمولية لنما الفرد وإصلاحه وتهذيبه . أي إثراؤه بالمعارف العلمية ، وتطوير قدراته ومهاراته ، والتي تشكل ما يعرف بالتعليم وتطوير قناعاته ومواقفه تجاه الكون والطبيعة والمجتمع والتأثير في تشكيل قيمِهِ الاجتماعية والثقافية وكذا التأثير في تشكيل سلوكه وطباعه بما ينسجم ومعايير المجتمع وهو ما يعرف بالتربية (بمفهومها الضيق).

ولهذا فإن لسان حال مبدأ وحدة التعليم والتربية يؤكد على ضرورة أن يترجم مضمون الدرس هذه النظرة الشمولية إلى التلميذ ، فلا يجوز التأكيد على جانب واحد من جوانب نموه ونهمل الجوانب الأخرى . فيكون تطوير الجانب المعرفي للتلميذ مثلاً هو محور اهتمام المعلمين ولا يحظى الجانب التربوي بالأهمية التي يستحقها وهي النظرة السائدة للدرس في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين والتي تعرضت لانتقادات كثيرة لأنها تستند إلى البناء المنطقي للعلم بمفرده كأساس لتشكيل مضمون الدرس ولا تهتم بالتلميذ واعتباره محور العملية التربوية والتعليمية. فأصبحت المادة العلمية هي الهدف من التعليم وليس التلميذ ، وينبغي لذلك على التلميذ أن يتكيف مع المادة التعليمية لا أن تكّيف المادة التعليمية من أجله .

وبذلت محاولات كثيرة لتطوير نظرة جديدة للدرس تخدم التطور المتكامل للتلميذ عبرت عنها عدد من النظريات العلمية والتي من أهمها النظرية السلوكية التي استند إليها رالف تايلور (Tyler) وغيره في تطوير الدرس من خلال نموذج المنهج الذي طوره بالاستناد إلى الأهداف السلوكية. واعتبر أن التلميذ والمجتمع والعلوم ركائزه الأساسية ، وهي نظرة تقدمية عن مضمون الدرس إلا أن ترجمتها إلى واقع ملموس من خلال التصنيفات المختلفة للأهداف السلوكية التي تعرفنا عليها قد شابها نوع من القصور.

ولا يهمنا هنا نقد أو تقييم المحاولات المختلفة لتصنيف الأهداف السلوكية إلا أن ما يعنينا منه هو أنها اهتمت بالجانب المعرفي والمهارات وأهملت الجانب التربوي والذي استبدل بما يعرف بالجانب الوجداني للتلميذ ، (كتطوير موقف التلميذ -م-ن العلماء أو موقفه من إنجازات العلماء العرب والمسلمين في مجال التطوير العلمي ودورهم في تطوير الرياضيات... الخ) والذي يعتبر أحد مكونات التربية ولكن لا يشملها جميعاً، حيث لم يتم الاهتمام بالقناعات والقيم

والأخلاق والمواقف والعادات التي ينبغي أن يترجمها سلوك الفرد . فإضافة إلى صعوبة صياغة الأهداف التربوية في صورة سلوك يمكن قياسه فإن عدم الاهتمام بها قد يتفق والفلسفة التربوية والسياسات التعليمية لتلك البلدان التي طورت فيها مثل هذه التصنيفات للأهداف السلوكية.

كما إن النظرة البرغماتية والنفعية للدرس واعتبار إن وظيفته الرئيسة إكساب التلاميذ للمؤهلات المهنية والحياتية التي يحتاجونها في حياتهم اللاحقة كما عبر عن ذلك جون ديوي (كليبار (Kliebard ، 1992 ص78) تضعف الإمكانيات التعليمية والتربوية لمحتوى الدرس ولا تحقق للتلاميذ اكتساب تعليم علمي عام ومتين ولا تساعد في تحقيق تطورهم المتكامل وهو ما يمكن الاستدلال إليه من خلال المآخذ على مناهج النشاط الذي طوره جون ديوي والتي يخصنا منها هنا:

1. عدم مساعدة التلاميذ على إتقان المواد الدراسية ، مما يترك في ثقافتهم فجوات كبيرة تحول دون حصولهم على المبادئ العامة التي تنظم المعرفة تنظيماً منطقياً.
2. توجيه الاهتمام إلى حاجة الطفل وإهمال التراث الثقافي الذي ينحدر إليه من الماضي كذلك إهمال ما ينبغي للطفل أن يكون عليه في المستقبل لمواجهة المشكلات التي تنتظره (صالح ذياب وآخرون 1989 ص 279).
3. حيث أن تصميم النشاط/ الخبرة ينطلق من حاجات التلاميذ واهتماماتهم فمن الممكن إهمال الأهداف الاجتماعية للتربية ، وبالتالي الخصائص الثقافية الواجب تعلمها من قبل كافة التلاميذ.
4. إن منهج النشاط/ الخبرة لا يوفر ترابطاً بين عناصر المنهج أي الأهداف والمحتوى والخبرات التعليمية (يعقوب نشوان 1991 ص 302).

ووفقاً للفلسفة التعليمية لبلادنا فإن للتربية مكانتها الخاصة والتي ينبغي أن يجسدها كل درس والنظر إليه باعتباره مجالاً رئيساً للتعليم والتربية في آن واحد.

ويعني ذلك أن على مخططي المناهج وكذا منفذوها (المعلمون) أن يستفيدوا من الإمكانيات التعليمية والتربوية لمحتوى العلوم بما يساعد التلاميذ في اكتساب الأسس العامة للعلوم وتطوير قدراتهم ومهاراتهم وكذا التأثير في تطوير خصائص الشخصية الأخرى لديهم كالقناعات والقيم والأخلاق والمواقف المنسجمة مع متطلبات مجتمعنا كمجتمع عربي وإسلامي.

" إن التربية هي وسيلة المجتمع لأداء وظيفة نقل الثقافة ودعم العقيدة وإرساء المثل والقيم التي يراد غرسها في النشئ والمبادئ التي يراد توجيههم لها، وعن طريق التربية تصوغ الجماعة أفرادها والدول شعوبها وتوجه سلوكهم وأخلاقهم وفق الأهداف التي يسعى إليها المجتمع. ولأن الطفل هو محور العملية التربوية فإن ذهنه وحياته لابد إن تتشكل بالقالب الذي وضع له، وبالعلوم والمعارف التي يزود بها فتهيمن على أفكاره حتى لا يجد في الحياة منظار غير المنظار الذي أريد له استخدامه في ملاحظاته وتجاربه كما تفعل كل الأمم التي لها "أيديولوجيات" تدين بها " (عباس محجوب 1987).

فالطرائق التربوية والأساليب والحقائق العلمية التي تساعد على تربية الطفل وتحقيق نموه العقلي والنفسي والأخلاقي والجسمي ، تستخدم كلها للوصول إلى النمو الذي يؤدي إلى وجود الإنسان الكامل عقلياً وروحياً وجسمياً ونفسياً وخلقياً واجتماعياً الذي يحقق أهداف الفلسفة

التربوية التي تعمل التربية لها وتسلك طريقها). (عباس محجوب 1987 ص21-22).